خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٦/٢/٢٠

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

بفضل الله تعالى بدأ شهر رمضان أمس. وهذا شهر الصيام قد هيّأه الله تعالى لنا على وجه الخصوص لنوثّق علاقتنا بالله تعالى ولنُصلح أحوالنا الروحية.

نسأل الله تعالى أن يوفّق كل أحمدي لأن ينال أكبر قدر من الفيض والبركة من هذا الشهر. ولكن ينبغي أن نتذكّر دائماً أن الفائدة الحقيقية لا تتحقق إلا إذا حافظنا بعد رمضان أيضاً على معايير محبة الله والعبادة، بل سعينا إلى الارتقاء بها، فحينئذ فقط نكون قد حققنا الغاية من خلقنا.

وكما كنتُ أذكر في الخُطَب السابقة محبةَ النبي ﷺ لله تعالى، وطريقته في العبادة ومعاييرها، والنصائح والإرشادات التي وجّهها إلى المؤمنين للعمل بها، ثم ذكرتُ بعض الوقائع عن غلامه الصادق عليه السلام الذي اقتدى بسنته ﷺ اقتداءً حقيقياً فإن هذا الموضوع ما زال مستمراً، وسيستمر اليوم أيضاً بمناسبة رمضان.

وسأذكر في هذا السياق بعض الوقائع من سيرة المسيح الموعود عليه السلام، والتي يتجلّى فيها تعلّقه بالله تعالى وإقباله على الدعاء. وهذا أيضاً من فضل الله تعالى الخاص أن ساقنا لذكر هذه الوقائع وفيها وقائع السيّد والخادم، حتى بلغ بنا الأمر أن دخلنا في رمضان، وأن وُفِّقنا لأن نُحاسب أنفسنا من هذه الجهة، لنتمكن من إصلاح أحوالنا.

فكل واحدٍ منا ينبغي له أن يضع هذه الوقائع التي أذكرها أو ذكرتها نصب عينيه، ليُحسّن حالته الروحية، وليجتهد في العمل بهذه الأمور والأعمال التي كانت من طرائق عبادة سيّدنا محمد المصطفى ﷺ وغلامه الصادق عليه السلام، وفي تعلقهما بالله تعالى. ولا ينبغي أن يكون الأمر قاصرا على مجرد الاستمتاع بهذه الوقائع، بل يجب أن تكون لنا مرشدةً.

ومن بين هذه الوقائع أقدّم روايةً للسيد مرزا بشير أحمد عن المسيح الموعود عليه السلام. كتبَ بيانَ السيد كرم مولوي محمد عبد الله البتالوي أنه قالَ: غالباً في عام ١٩٠٧م أعطتني أمة الرحمن بنت القاضي ضياء

الدين، أخت القاضي محمد عبد الله صاحب، وهي قريبتي من جهة أمي، قطعة ورق كانت من الأوراق المهملة. ولكن بما أن عليها عبارات مكتوبة بخط يد حضرة المسيح الموعود عليه السلام وحضرة أم المؤمنين أيدها الله تعالى، فقد حصلت عليها تبركاً بشوق كبير وحفظتها. ثم في وقت ما ضاعت مني تلك الورقة، لا أدري إن كانت داخل كتاب أم فقدت، وأنا آسف جداً لأجل ذلك. ولكن بما أنها مرتبطة بواقعة روتها لي أمة الرحمن بنفسها، وتلقي هذه العبارة غير المتكلفة نورًا على تعلق حضرة المسيح الموعود عليه السلام بالله، وتقواه وطهارته وشغفه بالعبادات، لذا أرى ضرورياً ذكرها وتدوينها.

في الأيام التي كانت أمة الرحمن تقيم في بيت حضرة المسيح الموعود عليه السلام، رأت وروت لي أن حضرة المسيح الموعود عليه السلام وحضرة أم المؤمنين أرادا يوماً أن يقوما بتجربة: هل يمكن الكتابة على الورق مع إغلاق العينين أم لا؟ فأمسكا بتلك القطعة، وكتب حضرة المسيح الموعود عليه السلام عليها العبارة التالية، وهي محفوظة عندي حرفاً بحرف، ولدي ثقة كاملة أنه إن وجدت الورقة يوماً فستكون هذه الكلمات عليها بالضبط. كتب حضرته بعينين مغمضتين: "يجب على الإنسان أن يخاف الله تعالى في كل وقت ويدعوه في الصلوات الخمس".

فهذا هو المستوى الذي أوصى عليه السلام أتباعَه ببلوغه دوما. كان عليه السلام يفكر دائما أن يكون المؤمنون به، بل كل المؤمنين، خاشعين لله وحريصين على العبادة دائما.

على كل حال، أذكر أيضا ما كتبته أم المؤمنين رضي الله عنها وكان ذا صلة بشؤون البيت العامة. تقول الراوية: كانت كلمات أم المؤمنين بسيطة وهي:

«محمود هو ابني الحبيب، ويجب ألا يؤذيه أحد شيئاً.» وكانت هناك جملة أخرى تتعلق بالأولاد أيضا وهي: «مبارك أحمد يطلب البسكويت.»

على كل حال، هكذا كانت العبارتان. وتقول الراوية: هذا ما كتبه الاثنان، وكان ما كتبته أم المؤمنين ذا صلة بأمور البيت العامة، أما كتابة المسيح الموعود عليه السلام فمع أنها كانت بخط شبيه بالشطبات إلا أنها كانت جزلة وقابلة للقراءة. ومع أنه كتبها مغمض العينين إلا أنها كانت بسطور منتظمة ومستقيمة ككتاباته الأخرى، أما كتابة حضرة أم المؤمنين فلم تكن مستقيمة السطور بل كانت بعض الكلمات مرتفعة وبعضها منخفضة قليلاً. والأمر الرائع الذي أسعدني دائماً هو أن المسيح الموعود عليه السلام كان عندها جالسا في البيت دونما تكلف وحين اضطر فجأة إلى كتابة شيء دونما تفكير، فلم يخطر بباله سوى كلمات نصيحة مخلصة. أما عبارة أم المؤمنين رضي الله عنها فكانت مما يمكن أن يخطر ببالها حسب ظروف البيئة. والحق أن هذا هو الفرق الذي يكون بين المأمورين من عند الله تعالى وغيرِهم.

كانت في قلبه حرقة أن يرجع بالناس إلى ربهم ويرغبهم في عبادة الله تعالى. فهذه واقعة بسيطة في أجواء البيت، لكن فيها درس عظيم.

كذلك ذكر حضرة مرزا بشير أحمد واقعة أخرى فقال: روى لي ميان عبد الله السنوري وقال: في عام ١٨٨٤ أراد المسيح الموعود عليه السلام أن يذهب خارج قاديان ليعتكف أربعين يوما في مكان ما ويقوم بسياحة الهند أيضا. فقرر أن يقصد "سوجان بور" في محافظة غورداسبور للاعتكاف هناك في خلوة، وأرسل لي بهذا الخصوص بطاقة بريدية كتبها بخط يده، فالتمستُ منه أن يصطحبني في هذا السفر وفي سياحته للهند أيضا، فقبِل التماسي.

ولكنه عليه السلام تلقى فيما بعد وحيًا بشأن سفره إلى سوجان بور حيث قيل له: إن غايتك ستتحقق في هوشياربور. فتخلّى عن قصده إلى "سوجان بور" وعزم على السفر إلى هوشياربور. فلما أراد الخروج إلى هوشياربور في شهر يناير ١٨٨٦ كتبَ إلي ودعاني إلى قاديان. كما كتب رسالة إلى "شيخ مهر علي" زعيمِ هوشياربور قال فيها: أريد أن آتي هوشياربور فابحثْ لي عن بيت ذي طابقين في أطراف المدينة (أي يكون خارج المدينة). فأخلى "شيخ مهر علي" لهذا الغرض بيتًا له كان شهيرًا باسم "طويله". فسافر عليه السلام بعربة ثيران صغيرة، سالكًا الطريق الذي يمرّ عبر نهر "بياس".

يقول ميان عبد الله: كنت أنا وشيخ حامد علي وفتح خان برفقة المسيح الموعود عليه السلام.

كان "فتح خان" مِن سكّان قرية "رسول بور" المتصلة ببلدة "تانده" في محافظة هوشياربور، وكان يكِنّ للمسيح الموعود عليه السلام احترامًا وتقديرًا عظيمين، إلا أنه وقع فيما بعد تحت تأثير المولوي محمد حسين البطالوي وارتدّ. لما وصل المسيح الموعود عليه السلام إلى النهر اشترى قاربا. وعندما كان القارب يجري في النهر خاطبني المسيح الموعود عليه السلام وقال: ميان عبد الله، إن صحبة الإنسان الكامل كالسفر في النهر حيث يكون هناك أمل للوصول إلى بر الأمان، كما يكون هناك خطر الغرق أيضا.

(أي أن الذي يعيش في صحبة أحد أولياء الله يلقى أحدَ المصيرين: فإما أن يصل في سلوكه إلى بر الأمان أو يهلك، مثله كمثلنا نحن الذين نسافر في السفينة التي يمكن توصلنا إلى شاطئ النهر كما يمكن أن تغرق بنا)

يقول الراوي: سمعت قوله عليه السلام هذا سماعا عابرا، إلا أنه لما ارتدّ "فتح خان" تذكرت قوله هذا.

على أية حال، بِتْنا في طريقنا في قرية "فتح خان" ووصلنا في اليوم التالي إلى هوشياربور. وبمجرد أن وصل عليه السلام هناك ذهب وأقام في الطابق الثاني من الدار المسماة بـ "طويله"، وقسَم الأعمال بيننا حتى لا نختلف. فعُهدتْ إليّ مهمة إعداد الطعام، أما "فتح خان" فكان عليه شراء الحاجيات من السوق، أما "شيخ حامد علي" فأُمر بالقيام بجميع الأعمال الأخرى إضافةً إلى ضيافة الزوار.

ثم نشر عليه السلام إعلانات كتبها بخط يده ألا يزوره أحد إلى أربعين يومًا، ولا يدعوه للطعام، وأنه بعد انقضاء هذه الأيام الأربعين سيقيم هنا عشرين يومًا أخرى، فمن أراد زيارته فليزره فيها، ومن أراد دعوته إلى الطعام فليدعه فيها، ومن أراد أن يسأله شيئا فليسأله فيها. وأمرنا عليه السلام وقال: يجب أن يبقى باب الدار مغلقًا

من الداخل كل حين، وألا يكلمني أحد منكم في البيت أيضا، وإذا دعوت أحدًا منكم فليجبني بما يلزم فقط، ولا يأتِ أحد عندي في الطابق الثاني، وينبغي إيصال طعامي إلى الطابق الثاني دون انتظار فراغي من الأكل، بل يجب أخذ الأواني الفارغة في وقت آخر. سأصلي الصلاة وحدي في الطابق الثاني (لأني في الاعتكاف)، أما أنتم فيمكنكم أن تصلّوا في الطابق الأرضي. أما صلاة الجمعة (فحيث إن أداءها مع الجماعة ضروري) فأمر عليه السلام بالبحث عن مسجد مهجور في أطراف المدينة حتى نصلي فيه وحدنا جماعةً. وكان هناك بستان خارج المدينة وكان به مسجد صغير مهجور، فكان عليه السلام يذهب إليه لصلاة الجمعة فيخطب بنا ويؤمنا.

يقول ميان عبد الله السنوري: كنت أذهب إلى الطابق الثاني لإيصال طعامه عليه السلام، ولم أكن أكلمه، غير أنه كان يكلمني بنفسه أحيانا ويسألني عن شيء فكنت أجيبه. وقال لي في إحدى المرات: لقد فُتحتْ عليّ في هذه الأيام أبواب أفضال الله الكبيرة، وأحيانا يكلمني الله لمدة طويلة، ولو كتبت هذه الأمور لصارت أوراقا كثيرة.

يقول ميان عبد الله السنوري: في هذا الاعتكاف نفسه تلقى عليه السلام الإلهامات المتعلقة بالابن الموعود، وبعد انتهاء الاعتكاف أعلن هذه النبوءة من هوشيار بور نفسها. وهو نفس الإعلان الذي نشره عليه السلام بتاريخ ٢٠/ ١٨٨٦/٢ والذي هو معروف في جماعتنا باسم "نبوءة المصلح الموعود".

ومن عجائب الصدف أن اليوم أيضا العشرون من فبراير، وهو نفس اليوم الذي تحققت فيه نبوءة الابن الموعود بكل عظمة، حيث وُلد ذلك الابن الموعود بحسب النبوءة، واستمرت خلافته لاثنين وخمسين عاما، وكتب الله له النجاح تلو النجاح.

وكل النبوءات والإلهامات والأمور التي تضمنت النبوءة عن المصلح الموعود، قد تحققت في حضرة مرزا بشير الدين محمود أحمد رضي الله عنه.

وأنا أقول بأنه توارد لأن النبوءة المذكورة في هذه الرواية جاءت أمامي اليوم في الترتيب، مع أنه كان بالإمكان أن تتقدم أو تتأخر. لكن اقتضت حكمة الله تعالى، أن تأتي أمامي في هذا اليوم بالذات وأسردها أمامكم. فقد تم توضيح خلفية يوم العشرين من فبراير، الذي هو يوم النبوءة عن المصلح الموعود، وتوضيح كيفية سفر حضرته عليه السلام ثم اعتكافه هناك وتلقيه بشارات من الله تعالى.

تُعقد في الجماعة اجتماعات بهذا الخصوص حيث يتم سرد تاريخ هذه الواقعة، كما تُبث على قناة إم تي إيه (MTA) بهذه المناسبة برامج خاصة، يمكن من خلالها أيضا معرفة تفاصيلها، لذا ينبغي مشاهدتها.

على أية حال، يقول الراوي:

فلما مضت أربعون يومًا أقام عليه السلام هناك وفق ما أعلن مسبقًا عشرين يومًا أخرى دعاه فيها بعضُ الناس إلى مآدب، وجاءه بعض الناس للنقاش في الأمور الدينية، كما جاءه بعض أصدقائه القدامى من خارج

هوشياربور وأقاموا عنده ضيوفًا. وفي تلك الأيام نفسها حدثت المناظرة بينه وبين "مرلي دهر" التي نقلتْ مجرياتها في كتابه "الكحل لعيون الآريا". فلما انقضت مدة شهرين كاملين عاد حضرته إلى قاديان بالطريق نفسه. كان هناك قبر رجل صالح على بعد خمسة أميال أو ستة من هوشيار بور، وكان حوله بستان صغير. (وهنا ذُكرت واقعة أخرى حدثت خلال السفر) فلما وصل حضرته إلى هذا المكان نزل عن عربة الثيران وقال: هذا المكان جميل وظليل فلنتوقف هنا لبعض الوقت. ثم ذهب إلى الضريح الذي يقال عنه إنه قبر رجل صالح، يقول ميان عبد الله: وكنت وراءه، أما شيخ حامد علي وفتح خان فوقفا عند العربة. فلما وصل حضرته إلى المقبرة فتح بابها ودخل إليها ثم وقف عند رأس القبر ورفع يديه للدعاء وظل يدعو لبعض الوقت ثم عاد وقال لي: لما رفعت يدي للدعاء خرج هذا الولي من قبره وجلس أمامي متربعًا، وكنت سأتكلم معه لو لم تكن معي. كانت عيناه كبيرتين ولونه أسمر. ثم قال: ابحثوا عن خادم هذا الضريح حتى نسأله عن أحوال هذا الولي. فسأله عليه السلام عن هذا الرجل الصالح فقال: لم أره في حياتي لأنه قد مضى على وفاته مئة سنة تقريبًا، إلا أني سمعت من والدي أو جدي أنه كان وليًّا كبيرًا في هذه المنطقة كلها وكان تأثيره كبيرًا فيها. سأله عليه السلام عن هيئته فقال: سمعت أنه كان أسمر اللون وكانت عيناه كبيرتين. بعد ذلك انطلقنا من هناك ووصلنا إلى قاديان. (إنه الوصف نفسه الذي ذكره حضرة المسيح الموعود عليه السلام للرجل الصالح الذي خرج وجلس أمامه. يقول بعض الناس: يمكن الكلام مع الموتى؛ فإنه يتم لبعض الأولياء والأنبياء بهذه الطريقة، ويظهر لهم الموتى أحيانا. وهذه طرق الله تعالى الخاصة. على أية حال، انتهى ذلك السفر ووصلوا إلى قاديان.)

يقول مرزا بشير أحمد: سألت ميان عبد الله السنوري عن هذا السفر: ماذا كان عليه السلام يفعل أيام خلوته هذه، وكيف كان يتعبد؟ فقال: لا نعلم ذلك، لأنه كان يقيم في الطابق الثاني ولم يكن مسموحًا لنا الصعود إليه، وإذا ذهبنا لإيصال الطعام ذهبنا بعد استئذانه.

يقول ميان عبد الله السنوري: صعدت يومًا إلى الطابق الثاني لإيصال الطعام فقال لي عليه السلام: تلقيت إلهامًا: بورك من فيها ومن حولها، ثم شرحه حضرته وقال: أنا المراد مِن "مَن فيها" (أي المسيح الموعود عليه السلام) والمراد مِن "مَن حولها" أنتم الذين ترافقونني.

يقول ميان عبد الله السنوري: كنت أبقى في البيت كل الوقت ما عدا الجمعة التي أخرُج فيها لصلاة الجمعة مع حضرته، كما أن "شيخ حامد علي" أيضا كان يظلّ في البيت معظم الأوقات، أما فتح دين فكان يقضي نهاره في الخارج.

أقول: وأغلب ظني أنه كان خارج البيت وقت تلقي حضرته الإلهام المذكور. (هذا رأي مرزا بشير أحمد)

يقول ميان عبد الله السنوري: كان "فتح دين" في تلك الأيام يكنّ لحضرته عليه السلام احترامًا كبيرًا لدرجة كان يقول أثناء حديثه معنا: أعدُّ حضرتَه نبيًّا، وبناء على الاعتقاد القديم السائد كان يصيبني قلقٌ عند قوله

هذا. (حيث كنت أرى بناء على المعتقد القديم السائد أنه كيف يمكن أن يكون نبيًّا إذ لا يمكن أن يأتي الآن أي نبي، لأجل ذلك أصابني القلق تجاه قوله هذا. ولكن كان فتح دين يعظّم حضرته في ذلك الوقت أيضا بحيث كان يعتبره نبيًّا حين لم يكن قد بدأ بأخذ البيعة، بل لم يعلن عن أيّ من دعاويه بعد، إذ يعود هذا الكلام إلى ما قبل دعواه بثلاثة أو أربعة أعوام. ولكن فتح دين تعثر بعد ذلك وارتدّ. لذلك على الإنسان الالتزام بالدعاء لحسن عاقبته والسعي لتقوية إيمانه والدعاء لأجله، وينبغي أن يدعو كل واحد ضمن الأدعية التي سيقوم بها في رمضان خاصة أن يحسن الله تعالى عاقبته ويقوّي إيمانه.)

وروى ميان عبد الله السنوري وقال: ذهبت في إحدى المرات لإيصال الطعام فقال لي عليه السلام: يخاطبني الله تعالى ويحادثني بصورة لو ذكرتُ جزءًا منها لتركني كل هؤلاء الذين يُظهرون لي احترامًا كبيرًا.

وهذا ما حصل فعلا أن بعض هؤلاء ولوا عنه عندما أعلن عن دعواه بل ازدادوا معارضة له لأنهم لم يكونوا يتصورون أن الله تعالى يمكن أن يتكلم هكذا مع أحد.

كذلك هناك واقعة أخرى عن صلاة حضرته، ويسأل البعض عن المسائل الفقهية المتعلقة بالصلاة فيقولون: كيف ينبغي ربط اليدين في الصلاة، وكيف ينبغي أن تكون حركات الصلاة الأخرى، فهناك واقعة تتعلق عن كيفية عبادة المسيح الموعود عليه السلام وصلواته، يقول ميان علي محمد وهو يصف صلاة المسيح الموعود عليه السلام:

مرة رأيت حضرته يصلي صلاة السنة، وقد ربط يديه فوق السرة بحيث كانت الإصبع الوسطى اليمنى تصل إلى المرفق الأيسر أو قبله بقليل. وعند السجود يضع جبهته وأنفه بين يديه على الأرض، وأصابعه مستقيمة نحو القبلة. فلما كانت عمامته المباركة مسترخية، فكانت تتحرك إلى الخلف، فيعدلها بإصبعه فوراً عند قيامه من السجود.

على أية حال، كتب هذا الراوي بأن حضرته صلى هذه السنة في المسجد الأقصى جنوب قبر والده، ثم أم المولوى نور الدين الصلاة المكتوبة.

يقول حضرة محمد جميل رضي الله عنه:

في الأيام الأولى لتفشي مرض الطاعون، عندما أقام المسيح الموعود عليه السلام في البستان مع عائلته كلها؛ كنا نحرسه ليلاً. (وكان قد انتقل إلى هناك لأن المكان المفتوح يكون مناسبًا للإقامة عند تفشي الطاعون)

باختصار، يقول: أثناء الحراسة ليلا كنا نمر بالقرب من خيمة حضرته عليه السلام، ونراه منهمكاً في الصلاة فقط. الله أعلم متى كان ينام.

وكذلك يروي حضرة البهاي شودري عبد الرحمن أن حضرته كان يؤدي صلاة التهجد بمنتهى الخشوع والتذلل، حتى كان صوت تلاوته يُسمع في الحجرة الواقعة أمام المسجد الصغير. وكان من دأبه عليه السلام أن

يكرر "اهدنا الصراط المستقيم" مراراً وتكراراً. ينبغي أن نكرر هذا الدعاء نحن أيضاً لكي يثبتنا الله تعالى على الهداية دائماً.

لقد ذكر حضرة الأستاذ نذير حسين حالة حضرته في صلاة التهجد فقال: ذات مرة أقمنا في طريقنا إلى جهلم في منزل جدي حضرة ميان جلال الدين المرحوم المعروف بـ"مبارك منزل" بلاهور. وقد بات حضرة المسيح الموعود عليه السلام الليلةَ هناك، وأُعدّت له غرفة للنوم. يقول:

نمت أيضا خارج تلك الغرفة في الردهة عند الباب وحين استيقظتُ في الساعة الثالثة تقريبا ليلا فنظرتُ إليه في الغرفة، كان حضرته يصلي، فتوضأتُ أيضا وبدأت أصلي خلفه على مسافة بسيطة، وحاولت كثيرا أن أطيل القيام أو الركوع أو السجدة مثل حضرته ولم أستطع، فقد تعبت جدا في الركعتين فقط، وكان حضرته مازال في الركعة التي لحقته بها، أي كان حضرته قائما في بداية الركعتين، فتعبت وتركت تقليده وبدأت أصلي منفردا، فكان ذلك نموذجا لعبادته اتباعا لسيده ﷺ. فكان يسعى لأداء حق عبادة الله ﷻ بأي طريقة. على أية حال، يقول: كنا جلوسا عند حضرته نهارا وكان حضرته ينصح أبناء الجماعة بالتهجد، فقلت إن لم أستطع التهجد فماذا أفعل على الأقل؟ (فالناس يسألون ماذا يجب عليهم، فهم لا يستطيعون التهجد) فقال حضرته: يجب أن تستغفر الله وتسبحه وتحمده كثيرا في ذلك الوقت، فبذلك ستوفَّق للتهجد، فالأدعية التي علمَناها ليست بديلا للتهجد، وإنما لنوفَّق بها للتهجد.

فقد كتب حضرة مرزا بشير أحمد رضي الله عنه أيضا أو الراوي أنه حين يحدث مني القصور في التهجد أعمل بهذا فأوفَّق للتهجد.

فهذه هي الوسيلة التي يجب أن نلجأ إليها في أيام الكسل. في هذه الأيام نعيش رمضان المبارك، حيث نوفق لشيء من التهجد، فإن لم يتيسر فينبغي السعي والمحاولة. صحيح أن صلاة التراويح تقام في المسجد وتُؤدى كبديل من أجل الضعاف والمرضى أو الذين لا يقدرون أن يستيقظوا صباحا، إلا أنها لا تغني تماما عن التهجد. فإن سنة النبي ﷺ وطريق خادمه الصادق عليه السلام هو أن نقوم ليلا للتهجد، ونسعى لأداء التهجد حتما حتى لو كانت ركعتين أو أربع ركعات فقط، حتى لو كنا قد أدينا التراويح.

ومثل ذلك يروي حضرة خير الدين أن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام خرج ذات صباح في أيام الربيع نحو الساعة الثامنة من قاديان للتنزه، سالكاً الطريق الواقع بين بهيني وقادر آباد المعروف بالشارع. وعند حدود أراضي قاديان أدّى ركعتين نافلة، ثم مر من قريتنا فعاد إلى قاديان. من هنا عرفنا أنه حتى في التنزه كان يشغل باله العبادةُ. فمن الواجب على سكان قاديان أيضا أن يحافظوا على قدسيتها ويسعوا لرفع معايير عباداتهم أداءً لحق هذه البلدة، إذ قد صلى حضرته عليه السلام فيها وعلى حدودها أيضا النوافل.

ويقول حضرة ملك نياز محمد المحترم: حين ذهبت إلى قاديان عام ١٩٠٤م، كان حضرة المسيح الموعود عليه السلام يتوجه إلى غورداسبور لمتابعة قضية كرم دين. وحين ذهبتُ أنا أيضاً إلى هناك، كان حضرته مقيماً

في بيت قرب بِركة ماء، وكان أفراد الجماعة أيضاً يقيمون هناك، وكانت تقام المائدة أيضا في جزء منه. ورأيت أن بساطا كان يفرش في المحكمة وكان يجلس عليه حضرته عليه السلام والأخوة أيضا، فكان بساطا كبيرا يتسع للجميع. يقول: لاحظت أمرا واحدا ما زلت أتذكره جيدا، أن حضرته كان يحافظ على الوضوء دوما، إذ كلما خرج لقضاء حاجة توضأ بعده حتما، حتى تيقنت أنه عليه السلام كان متوضئاً في كل الأوقات. وكان يقرأ باستمرار وبصوت خافت: "سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم."

ويروي حضرة البهاي شودري عبد الرحيم أنه كان من دأب حضرته عليه السلام في الأوائل أن يحضر المسجد عموما أولا للصلاة، وحاولت مرة أن أكون أول من يصل، لكنني وجدته عليه السلام قد سبقني إليه.

لقد قضى سيدنا المسيح الموعود جزءاً من شبابه في سيالكوت امتد سبع سنوات تقريبا، وكان أبرز امتيازات تلك الأيام ليلاً ونهاراً محبتُه لله تعالى، وكل من ذكر عن ذلك بيَّن بصفة خاصة عزلته وانقطاعه وانهماكه في الصلاة والتلاوة. وفي هذا الخصوص أقدم شهادات عدد من الأشخاص الذين يعدّون الثقات والصالحين في سيالكوت.

يقول الحكيم بدر حسين الذي انضم بعد إعلان حضرته بعثتَه إلى زمرة ألد أعداء الأحمدية، وأثار اعتراضات بدافع العداء على بعض أعمال حضرته عليه السلام في حكاية، إلا أنه لم يستطع في خضم معارضته أن ينسى الذكريات الطاهرة أثناء إقامة حضرته في سيالكوت فكتب: كان شخصاً ذا ثقة أي جديرا بالثقة الكبيرة، رفيع الهمة والأفكار، لا أرى ندًّا له في علو همته. حين دخل (أي الغرفةَ التي كان يجلس فيها هذا الكاتب) طلب الماء للوضوء، وبعد فراغه من الوضوء أدى صلاة المغرب، ثم اشتغل بورده ثم ذكر الله.

أما المنشي سراج الدين المرحوم، محرر صحيفة "زميندار"، الوالدُ الجليل للزعيم الإسلامي المشهور المولوي ظفر علي خان، فقد روى: كان مرزا غلام أحمد يشتغل كاتبا في محافظة سيالكوت نحو عام ١٨٦٠ أو ١٨٦١م، وكان عمره آنذاك نحو اثنين وعشرين أو ثلاثة وعشرين عاماً، ونستطيع أن نشهد شهادة عيان بأنه كان صالحاً عظيما وتقيا جليلا حتى في شبابه. فكان عليه السلام بعد انتهاء عمله الوظيفي يقضي جُلَّ وقته في قراءة العلوم الدينية، وكان قليل الاختلاط بالناس. وفي إحدى المرات، التقى الشيخ يعقوب علي عرفاني رضي الله عنه في سيالكوت بالسيد مير حسن، فلما ذَكَر له سيرته الماضية التي أشرتُ إليها، اغرورقت عيناه بالدموع وقال بعيون دامعة: "للأسف، لم نُقدِّره حقَّ قدره، ولا أستطيع أن أصف كمالاته الروحانية. لم تكن حياته كحياة إنسان عادي، بل كان من أولئك الذين هم عباد الله المختارون، الذين يأتون إلى هذه الدنيا نادرًا."

هناك واقعة أخرى تتعلق برجل عادي من أهل الريف، تُبيّن كيف أدرك هو الآخر نور المسيح الموعود عليه السلام. فإن نور المحبين لله تعالى والمصطفين يتجلى ويشعّ من وجوههم.

كتب حضرة مرزا بشير أحمد رضي الله عنه أن والدته الكريمة حدّثته أن المسيح الموعود عليه السلام قال: "ذهبتُ مرةً إلى جبل دلهوزي في شأن قضية، فأدركنا المطرُ في الطريق، فنزلتُ أنا ورفيقي من العربة، وتوجّهنا نحو بيت رجل

جبلي كان قريبًا من ذلك الطريق. تقدّم رفيقي وطلب من صاحب البيت الإذن بالدخول، فمنعه وأبى. (ربما تكون عنده غرفة صغيرة فقط، لأن بيوت الفقراء المساكين كانت هكذا في ذلك الوقت) فنشأ بينهما جدال، واحتدّ صاحب البيت وأخذ يسبّ ويشتم؛ فلما أصرّ رفيقي على الدخول وأبى صاحبُ البيت، اشتعل النزاع بينهما. قال حضرته عليه السلام: فلما سمعتُ هذا الجدال تقدّمتُ إلى الأمام، فما إن التقت عيناي بعيني صاحب البيت حتى، وقبل أن أنطق بكلمة، طأطأ رأسه وقال: الحقيقة أن عندي فتاةً شابة، ولهذا لا أسمح لأيّ غريب بالدخول إلى بيتي، غير أنكم يمكن أن تشرّفوا بالدخول. وكان حضرته عليه السلام يقول: كان ذلك الرجل غريبًا عني، لا أعرفه ولا يعرفني."

فهذا في الحقيقة نورٌ إلهي، وعلامةٌ على النبل والتقوى، تجلّى من وجهه عليه السلام حتى رآه ذلك الرجل، فقال: تفضّل، لك أن تدخل.

كان حضرته عليه السلام يتوجه إلى الله تعالى في كل حين، ولم تُبعده أي مشاغل أو انشغالات عن ذكر الله. وقد رأينا نهجه هذا جليًّا في قضاياه أمام المحاكم، (وقد ذكرتُ هذه الواقعة من قبل.) إن الحرص على إقامة الصلاة في مثل هذه الأوقات الحرجة، حين تكون القضية مطروحةً أمام المحكمة، أمرٌ عسير بلا شك، غير أنه عليه السلام كان متوكلًا على الله ومستغنيًا بحبّه استغناءً تامًّا، فكانت القضية معروضةً أمام القضاء، وكان من الممكن أن يُدعى للمثول في أي وقت، وتستدعيه المحكمة في أي لحظة، مع ذلك كان كلما يحين وقت الصلاة كان يترك نداء المحكمة، ولا يأبه بما قد يترتب على غيابه من خسائر، يلبّي نداء الله، ويمثل بين يديه تعالى. (هذا هو الأصل الذي ينبغي لكل واحد أن يستحضره دومًا أن تُقدَّم الصلاة على كل شيء في وقتها مهما كانت الظروف. هذا هو النموذج الذي يتسم به المؤمن الصادق. لقد تعلَّم ذلك من سيده ﷺ، وطبَّقه على أرض الواقع، وترك لنا هذا المثل الرفيع).

لقد وصف الشيخ يعقوب علي عرفاني رضي الله عنه حالة حضرته عليه السلام بأسلوب بالغ الجمال، فكتب: إن سلسلة القضايا كانت طويلة جدًّا، وكان عليه متابعة بعضها حتى المحكمة العليا. يقول: بينما أدوّن هذا الجزء من حياة حضرة المسيح الموعود عليه السلام، فإن الأمر الذي أودّ لفت انتباه قرّاء هذه السيرة إليه هو صلته بالله تعالى. فمن نال شرف مجالسة حضرته والاستماع إلى أحاديثه، أو قرأ خُطَبَه المنشورة، يعلم أن حضرته عليه السلام كان دائمًا على مبدأ "دست بكار ودل بيار"، أي: يده في العمل وقلبه مع المحبوب، والمحبوب هو الله تعالى، وكان يوصي الآخرين بهذا المبدأ نفسه.

فيما يتعلق بالقضايا، من الملاحَظ عمومًا أن المدعي والمدعى عليه يكونان في حالة من الاضطراب وعدم الاستقرار، غير أن حضرته عليه السلام حين كان يذهب لمتابعة القضايا، لم يكن يشعر بأي قلق أو اضطراب في نفسه، بل كان يبقى متوجها إلى الله بكل ثبات ووقار. والقضايا التي كان يتابعها امتثالًا لأمر والده، لم

يفوّت صلاةً واحدة في أثناء هذه القضايا، ولم يغفل عن الفرائض المتعلقة بحقوق الله تعالى. فكان يُقبل على الصلاة في وقتها وهو في قلب المحكمة، كأنه لا شغل له سواها.

وكذلك دوّن السيد عرفاني ﷺ وقائع تفيد بأن المحكمة كانت تناديه أحيانًا، (حدث ذلك في بعض الأحيان)، إلا أنه عليه السلام كان لا يعبأ بذلك ولا يلتفت إليه. ثم كتب ﷺ:

إن في تلك الأسفار المتعلقة بالقضايا، كان عليه السلام كل لحظة منصرفًا إلى تلك الذات التي هي الخالق ورب العالمين. فكان يرى في الشمس المشرقة، والقمر والنجوم المتلألئة في سماء الليل، والشلالات المتدفقة، والجبال الشامخة، والمياه الجارية، والحقول المخضرة، وزقزقة الطيور، وأصوات الرعد والبرق – كان يرى في كل ذلك انعكاسًا لوجود واحد، وتجلي لمبدأ الأنوار نفسه. أيْ أنه كان يرى في كل شيء قدرة الله تعالى، وتجلّي ذلك المحبوب الحقيقي في كل اتجاه. فحين ينظر إلى القمر يشتاق إليه اشتياقًا شديدًا، لأنه يرى فيه بعض آثار جمال المحبوب ﷻ. وفي ضياء الشمس تتراءى له أنواره ﷻ، وفي كل نجم يتجلى بريقه ﷻ. والجمال في الوجوه يحمل سرّ حسن الخالق الحقيقي، وكل عين جميلة تُريه إياه، وكل خصلة شعر متعرجة تشير إلى ذلك الإله الواحد، وكل زهرة وروضة معطّرة بعبير حسنه وإحسانه.

ما أجمل هذا البيان للسيد عرفاني ﷺ، يقول: والحق أن حضرته عليه السلام في ظاهره كان يذهب لتلك القضايا، إلا أن تلك الأسفار كانت في حقيقتها تُبدّد عنه كل هموم الدنيا وصراعاتها.

وفي معرض ذكر هذه الحال، كتب ﷺ مشيرًا إلى رحلة دلهوزي التي سبق ذكرها، أن حضرته عليه السلام حين رأى مناظر الطريق قال: ما أجمل شلالات المياه ومروج الجبال الخضراء!

فكانت حالة الفناء والرضا في تلك الذات الواحدة ملازمةً له في كل لحظة، ليلًا كان أو نهارًا، ظاهرا كان أو باطنا؛ لم تكن ذكرى ذلك المحبوب الحقيقي تغيب عن قلبه لحظةً واحدة.

قال حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ إن والدته حدّثته أن المسيح الموعود عليه السلام قال ذات مرة: "لقد أعلمني الله تعالى أو قال: لقد أُخبرت من الله تعالى بأنه ينبغي الإكثار من قول "سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم." وأضافت الوالدة: لذلك كان عليه السلام يُكثر من ترديد هذا الذكر، حتى إنه كان يتقلّب في فراشه ليلًا ولسانه لا يفتر عنه.

ويقول حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ: إنه حين روى هذه الرواية للمولوي شير علي ﷺ، قال له: "لقد رأيتُ أنا أيضًا أن حضرة المسيح الموعود عليه السلام كان يُكثر من قول "سبحان الله". كما دوّن حضرة مرزا بشير أحمد ﷺ ملاحظته الشخصية في هذا الشأن، فقال:

سمعتُ سيدنا المسيح الموعود عليه السلام يُردّد "سبحان الله"، دائما وكان يُكررها ببطءٍ شديد وتأنٍّ وهدوء ورفق، كأنه يتأمل في صفات الله تعالى في الوقت نفسه.

ثم يقول مرزا بشير أحمد ﷺ إن السيد سراج الحق نعماني أخبره قائلا: كانت كيفية نومه عليه السلام أنه كان يستيقظ على فترات متقاربة ويُردِّد "سبحان الله، سبحان الله"، بصوت منخفض ثم يعود إلى النوم.

يقول الشيخ يعقوب علي عرفاني: كان سيدنا المسيح الموعود عليه السلام يُحبُّ العزلةَ والخلوةَ اقتداءً بسيده ومُحسنه النبي الأكرم ﷺ، ولو كان مخيَّرا لما خرج من عزلته أبدا. وقد بيّن ذلك في خطبه وكتاباته مرارا.

فحين غلب على طبيعته الحساسة حبُ العزلة، وانجذب إلى الله تعالى كليا بسبب من الجذب الإلهي، بعث إلى والده رسالةً. ومن قراءة هذه الرسالة سيتبيَّن كيف كان حضرته يَنفر من الدنيا منذ صغره ويحرص على توطيد صلته بالله تعالى. وهذه الرسالة المكتوبة في شبابه جزءٌ من طبيعته الطاهرة وسيرته النقية. الرسالة مكتوبة بالفارسية، وسأذكر جزءا منها؛ فقد كتب عليه السلام مخاطبا والده: "إنني أرى في هذه الأيام بأم عيني، وأُشاهد بعين بصيرتي المتفكرة أنه في كل عام يحلُّ وباءٌ ما بمختلف البلاد والأقطار ويفصل الأصدقاء عن أصدقائهم والأقاربَ عن أقاربهم، ولا أرى في أي عامٍ أن هذه النيران المشتعلة والمصائب الأليمة لا تُثير ضجيجا كضجيج القيامة. فبالنظر إلى هذه الظروف بردَ قلبي من الدنيا، واصفرَّ الوجهُ خشيةً منه ﷻ".

(كذلك الظروف السائدة في الدنيا حاليا تُذكِّرنا كيف تشتعل النيران في كل حدبٍ وصوب، لذا يجب علينا أن نوطد علاقتنا بالله تعالى أكثر من ذي قبل.

وكتب عليه السلام في رسالته أيضا: "كثيرا ما يتبادر إلى ذهني شطران من بيت الشيخ مصلح الدين سعدي الشيرازي فتنهمر دموع الحسرة:

مَكُن تكيه بر عمرِ ناپايدار مباش ايمن از بازيِ روزگار

أي: لا تتكئ على العمر الفاني، ولا تأمن تقلبات الدهر (أي ولا تظنَّن أنك بانهماكك في الدنيا قد أصبحتَ في مأمن)".

وكتب عليه السلام أيضا: الشطران لـ"فرَّخ قادياني" (وكان المسيح الموعود عليه السلام يتخذ اسما مستعارا "فرخ" في القصائد في ذلك الزمان) يَنثران الملحَ على جراح القلب وهما:

بدنياي دون دل مبند اي نوجوان كه وقت أجل مي رسد ناگهان

لا تُعلِّق قلبك بهذه الدنيا الدنية أيها الفتى، فإن وقت الموت يأتي فجأةً دون إنذار. أودُّ أن أقضي ما تبقَّى من عمري في العزلة والخلوة، مُجتنبا مخالطة الناس، منكبا على ذكر الله سبحانه؛ لعلِّي أُكفِّر عما مضى وأتدارك ما فات.

يتَّضح من هذه الرسالة – وهي طويلة جدا – أن سيدنا المسيح الموعود عليه السلام لم يكن راغبا في الشهرة والعظمة، وأنه كان يربطه بالله تعالى رباطٌ نزيهٌ ونقيٌّ. والحق أنه كان يحب العزلة والخلوة بحيث ما كان ليجالس الناس لو لم تدفعه إلى ذلك طاعةُ أمر الله تعالى. وقد قال عليه السلام: "لو خيَّرني الله تعالى بين الخلوة والجلوة لاخترتُ الخلوة. وأُقسم بتلك الذات المقدسة على ذلك. لقد أخرجني الله إلى ميدان العمل قهرا

وإكراها. ولا يعلم أحدٌ سوى الله مدى المتعة التي أجدها في الخلوة. لقد قضيتُ في الخلوة قرابةَ خمسةٍ وعشرين عاما، ولم أتمنَّ لحظةً واحدةً أن أجلس على كرسي الشهرة. وكان طبعي يأبى مخالطة الناس، غير أنني مُضطرٌّ للعمل بأمر الآمر".

فبإرسال الرسالة إلى والده على هذا النحو ترك كل شيء، كأنه تنازل عن حياة الأمراء. كان والده يملك سبعة قرى، ولكن المسيح الموعود عليه السلام تركها كلها في سبيل حب الله تعالى.

وكان أحيانا يُوصي بذلك أتباعَه أيضا. فقد روى ميان محمد موسى المحترم قائلا: ذهبتُ مرةً إلى قاديان، وكان هناك رجلٌ حديث عهد بالإسلام، فقال للمسيح الموعود عليه السلام: "يا سيدي، ائذن لي بالانصراف لأن المحصول جاهز للحصاد (كان يملك أراض واسعة)، ولا بدَّ من تقسيمه مع المزارعين." (علما أن المحصول يُقسم بين صاحب الأرض والمزارعين) فسأله حضرته: "كم تبلغ المزرعة القابلة للحصاد؟" قال: "كثيرة جدا يا سيدي." فقال له: "لقد تركتُ أنا قرىً كثيرةً واخترتُ باب الله، فأقِم بعض الأيام الأخرى وحسِّن حالَتك الدينية، وفوِّض أمور الدنيا إلى الله، وسيغدق الله عليك أفضاله".

(كان المسيح الموعود عليه السلام يعلم ظروف هذا الشخص، فأسدى إليه هذه النصيحة. غير أنه قال في موضعٍ آخر: لا ينبغي ترك مشاغل الدنيا كليا، بل يجب تقدير ما أنعم الله به من خيرات. فقد نصح هذا الشخص الحديث بالإسلام نظرا إلى مقتضى تربيته، فالأمر يتعلق بالظروف، وعلى كل امرئ أن ينظر في ظروفه ولا يغرق في الدنيا كليا، ولا يتركها كليا فيُضيّع حقها. فالإسلام يعطي تعليما متوازنا ومتكاملا ينبغي العمل به، إلا أن هناك أمرا ينبغي الاهتمام به دائما وهو ألا ينسى المرء اللهَ تعالى أبدا. فهناك حاجة إلى الحذر والانتباه إلى هذا الأمر).

هذه بعض جوانب عشق حضرته عليه السلام ومحبته وعبادته التي بينتُها اليوم. نسأل الله تعالى أن يوفقنا في هذا الشهر الفضيل لأداء حق العبادة على وجه صحيح، ويوفقنا للارتقاء في حبه أيضا، لنستفيد من بركات هذا الشهر شهر رمضان أكثر فأكثر، ويبقى تأثير هذه البركات فينا بعد رمضان أيضا. وفقنا الله للتحلي بالصفات التي هي سمات المؤمن الحقيقي والمسلم الصادق.

وفي هذه الأيام، أكثروا من الدعاء بشكل خاص للأحمديين المبتلين بالمصائب والمحاكمات الزائفة، واسألوا الله أن ييسر أمورهم. وتذكروا في أدعيتكم الأمة المسلمة بأسرها، وادعوا لنجاة العالم من الهلاك والدمار وأن يحمي الله الأبرياء منهما، وإن كانت الحرب والخراب مقدَّرَين فليحفظ الله الأبرياء منهما ويبطش بالظالمين.

****